تفسير سورة التكاثر

اعداد

ماجد بن عبدالله بن عبدالمحسن السلمان

Doi: 10.33850/JASIS.2019.44490

الاستلام : ١٨/ ٤ /٢٠١٩ القبول : ٢٥ / ٥ /٢٠١٩

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ [آل عمران:١٠٢]. يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا [النساء:١]. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد:

فإن أفضل ما يشتغل به الباحثون، وتُفنى فيه الأعمار، كتاب الله تعالى؛ إذ الاشتغال بفهمه وتدبره، اشتغالٌ بأعلى المطالب، وحصوله للعبد من أشرف المواهِب؛ كيف لا وهو متعلق بأعظم العلوم وأشرفها، والمتصدي لتعلمه وتعليمه أفضل الناس وأعلاهم منزلة، كما جاء ذلك في حديث: «خيركم من علم القرآن وعلمه»[(١)]، ولهذا أدرك العلماءُ كبيرَ فضلِ الله عليهم، فأفنوا الأعمار واجتهدوا في خدمة كتابه قراءة وتدبرًا، وتفسيرًا واستنباطًا، حتى فاقت مؤلفاتهم في علومه الحصر.

وقد سلكوا في تفسيره مسالكَ متعدِّدةً، ونحوا في طرق تأليفه أنحاء متفرقة، فمنهم من فسر القرآن كاملا، ومنهم من فسر آيات في مواضيع معينة، ومنهم من اختار توجيه المشكل دون غيره، ومنهم من فسر سورا معينة اختارها، لحاجة في نفسه أو لأمر متعلق بحاجة غيره، أو سؤاله، إلى غير ذلك من مسالك العلماء وطرقهم. وقد جاء هذا البحث على أحد هذه الطرق، وهو تفسير سورة مفردة، وقد اخترت فيه تفسير سورة التكاثر، وأسأل الله الإعانة والتسديد في القول والعمل.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي (٦/ ٢٣٦).

سبب اختيار الموضوع:

اخترت هذه السورة لما فيها من الوعظ؛ والزجر للقلوب؛ والتذكير بالآخرة التي صارت أمرا ثانويا بل يكاد يكون منسيا عند كثير من المسلمين اليوم، فأردت باختيار هذه السورة تذكير نفسي وإخواني بضرورة الالتفات للمهم، والسعي للباقي دون الفاني.

وقد جعلت هذا البحث على ثلاثة فصول، الفصل الأول في أحكام مجملة بين يدي السورة، وجعلت فيه مباحث، الأول في أسماء السورة، والثاني في وقت نزول السورة، والمبحث الثالث في عدد آياتها، والمبحث الرابع في فضائل السورة، وذكرت في المبحث الخامس سبب نزول السورة، وما ذكره المفسرون من أقوال في ذلك، ورجحت ما تبين لي من كلام المفسرين أنه الأقرب، وذكرت في المبحث السادس مقصد السورة وأغراضها.

ثم أوردت الفصل الثاني وهو التفسير التحليلي للسورة، وجعلته على أربعة مباحث، وذكرت في المبحث الأول معاني الكلمات في السورة وما فيها من الغريب، وفي المبحث الثاني ذكرت مطلبين، الأول تعريف القراءات لغة واصطلاحا، وذكرت في الثاني القراءات الواردة في السورة، وذكرت في المبحث الثالث النكت البلاغية في السورة، ثم ذكرت في المبحث الرابع المعنى الإجمالي للسورة.

ثم الفصل الثالث وهو التفسير الموضوعي للسورة، وقد جعلت فيه أربع مباحث، ذكرت في المبحث الأول تقرير عقيدة البعث بعد الموت ووقوع الجزاء بعد الحساب، ثم المبحث الثاني وهو مواعظ السورة، وجعلته على ثلاثة مطالب، ذكرت في الأول ما في السورة من الحث على زيارة القبور، وفي الثاني حكم زيارة القبور، وخلاف أهل العلم فيه، والراجح في ذلك، وذكرت في المطلب الثالث أقوال المفسرين إجمالا في النعيم الذي يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، ثم الراجح من هذه الأقوال.

ثم المبحث الثالث في (كلاَّ) ودلالاتها، في ذكرت في المبحث الرابع القسم في (لترون) ودلالته. ثم بعد ذلك الخاتمة، وذكرت فيها أبرز النقاط المستفادة من هذا البحث باختصار، ثم أوردت فهرسًا للمراجع وآخر للموضوعات.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستنباطي، حيث أنظر في كلام أهل العلم فيما يتعلق بالمسألة المراد الحديث عنها، ثم أستنبط من كلامهم ما هو مراد في هذه المسألة، وأنقل من كلامهم ما هو متعلق بالمسألة، مع ذكر المصدر والجزء والصفحة التي نقلت منها، وعزوت الآية بذكر السورة ورقم الآية بعد ذكر الآية في المتن لا في الحاشية، وخرجت الأحاديث من كتب السنة بذكر الكتاب وموضع ذكر الحديث في هذا الكتاب بذكر الكتاب الذي ذكره فيه من خرجه، أو الباب، مع ذكر رقم الصفحة والجزء، وجعلت هذا في الحاشية.

وما كان من الأحاديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذكره، وما كان في غيرهما فإن كان في السنن الأربع اكتفيت بذكرها، فإن لم يكن فيها حرصت قدر الاستطاعة على ذكر من خرجه، وذكرت في التخريج اللفظ المراد في الحديث، إلا أن يكون له لفظ آخر له تعلق بالمقصود فإني أذكره.

كما حرصت أن أذكر في كل مسألة أكثر من مرجع إذا توفر ذلك.

مشكلة البحث:

لم أجد في البحث –بحمد الله- مشاكل تذكر، حيث أن المصادر متوفرة، والمسائل ظاهرة، إلا في شيء يسير، كما في المبحثين الأخيرين من هذا البحث في ذكر دلالات (كلا)، ودلالات القسم في (لترون).

وقبل أن نشرع في المقصود، وانطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٢]، فإنني بعد شكر الله تعالى وحمده، والثناء عليه بما هو أهله -فهو سبحانه لكل حمد مستحق- على ما يسر لي من إتمام هذا البحث، أتقدَّم بالشكر الجزيل لفضيلة شيخنا الشيخ **(أ.د. عبدالعزيز الخضيري)** وفقه الله، على ما بذل معي من جهد في هذا البحث، متمثلا في حثه وتوجيهه المستمر، وذكره للمراجع التي نحتاجها في هذا البحث؛ مما كان له أثر في سهولة هذا البحث، وكذلك توجيهه لنا بكيفية البحث، مع ذكره لأهم النقاط التي ينبغي للباحث مراعاتها، والملاحظات التي ينبغي له تجنبها، وهذا له دور كبير في اجتناب الملاحظات من بداية البحث، بالإضافة إلى ما ألمسه وإخواني الطلاب من حرص شيخنا على إفادتنا، داخل قاعة الدرس، ونصحه لنا فيما هو من مفردات الدرس أو خارجه.

فجزاه ربي أعظم الجزاء وأوفره، وبارك له في عمره وعمله وأهله وولده، ونفع به الإسلام والمسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول: أحكام مجملة بين يدي السورة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: أسماء السورة:

سميت سورة التكاثر بعدة أسماء [٣]، منها:

١ـ سورة التكاثر: وهو الموجود في معظم المصاحف، ومعظم التفاسير، وكذلك عنونها الترمذي في جامعه[٤]، وهي كذلك معنونة في بعض المصاحف العتيقة بالقيروان.

---

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ٤/ ٤٠٣ باب في شكر المعروف عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وصححه الألباني، وأخرجه الترمذي في سننه أيضا أبي هريرة رضي الله عنه عن في سننه ٤٠٣/٣ وقال هذا حديث صحيح.

(٣) التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠)، وانظر جمال القراء (٩٣/١)، والبرهان (١٨٦/٣).

(٤) قال الترمذي (باب ومن سورة ألهاكم التكاثر)(٣٠٤/٤).

٢ـ سورة ألهاكم: كما سميت في بعض المصاحف، وكذلك ترجمها البخاري في كتاب التفسير من صحيحه[٥].

٣ـ المقبرة: قال الألوسي أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال: كان أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يسمونها «المقبرة» [٦].

المبحث الثاني: وقت نزول السورة:

وقع الخلاف بين أهل العلم في وقت نزول هذه السورة على قولين [٧]:

القول الأول: أنها نزلت في مكة: وهو مذهب الجمهور، وقال ابن عطية: «هي مكية لا أعلم فيها خلافًا»[٨]، وقال القرطبي: «وهي مكية في قول جميع المفسرين، وروى البخاري أنها مدنية»[٩].

واستدلوا بما جاء عن ابن عباس والكلبي ومقاتل: أنها نزلت في مفخرة جرت بين بني عبد مناف وبني سهم في الإسلام، وكانوا من بطون قريش بمكة، ولأن قبور أسلافهم بمكة.

القول الثاني: أنها نزلت في المدينة: ويدل له ما أخرجه ابن أبي حاتم: أنها نزلت في قبيلتين من الأنصار تفاخروا [١٠].

ولما أخرجه البخاري عن أبي بن كعب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب»، قال أبي: كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت: (ألهاكم التكاثر)[١١].

قالوا: أبي -رضي الله عنه- أنصاري، وظاهر قوله: حتى نزلت: (ألهاكم التكاثر) أنها نزلت بعد أن كانوا يعدون: «لو أن لابن آدم واديًا من ذهب..» من القرآن.

والذي يظهر والله تعالى أعلم:

أن سورة التكاثر سورة مكية؛ لأسباب عديدة منها:

١ـ أن معاني السورة وغلظة وعيدها يدل على أنها مكية، وأن المخاطب بها فريق من المشركين؛ لأن ما ذكر فيها لا يليق بالمسلمين أيامئذ[١٢].

---

(٥) قال البخاري (سورة ألهاكم)(٢١٨/٦).

(٦) فتح الباري (٧٢٨/٨).

(٧) انظر: التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠)، وتفسير القرطبي (١٦٨/٢٠)، والإتقان (٥٤/١)، وتفسير ابن كثير (٤٥٠/٨).

(٨)المحرر الوجيز (٥١٨/٥).

(٩) (١٦٨/٢٠).

(١٠) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤٥٩).

(١١) البخاري (٥١٧/٣).

(١٢) التحرير والتنوير (٥١٨/٣٠).

٢- إجماع المفسرين الذي نقله القرطبي، قال رحمه الله: «وهي مكية في قول جمع المفسرين»[١٣]، ونقله ابن عطية فقال[١٤]: «وهي مكية لا أعلم فيها خلافًا».
٣- ما سبق ذكره في سبب نزولها الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وأما استدلال من قال بأنها مدنية بقول أبي -رضي الله عنه- السابق فالجواب عليه:
أنه ليس في كلام أبي -رضي الله عنه- دليل ناهض؛ إذ يجوز أن يريد بضمير (كنا) المسلمين، أي كان من سبق منهم يعد ذلك من القرآن حتى نزلت سورة التكاثر، وبين لهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن ما كانوا يقولونه ليس بقرآن [١٥].

المبحث الثالث: عدد الآيات:

لم يختلف المفسرون وعلماء العد في أن عدد آيات سورة التكاثر ثمان آيات.
قال أبو عمر الداني: «وهي ثمان آيات في جميع العدد ليس فيها اختلاف»[١٦].

المبحث الرابع: فضائل السورة:

ورد في فضل سورة التكاثر عدة أحاديث منها ما يدل على فضلها على غيرها من السور في القراءة، ومنها ما يدل على فضلها على غيرها في الاستماع، ومنها ما يدل على فضلها بسبب ما ورد فيها من مواعظ للمؤمنين، فمن ذلك:
١- عن مطرف عن أبيه قال: أتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هو يقرأ (ألهاكم التكاثر) قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وقال: وهل لك يابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»[١٧]؟
٢- عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك ؟ قال: «أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: (ألهاكم التكاثر)»[١٨].
٣- عن جرير بن عبدالله -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني قارئ عليكم سورة (ألهاكم)، فمن بكى فله الجنة، فقرأ، فمنا من بكى ومنا من لم يبك،

(١٣) المحرر الوجيز (٥١٨/٥).
(١٤) القرطبي (١٦٨/٢٠).
(١٥) التحرير والتنوير (٥١٧/٣٠).
(١٦) البيان في عدد آي القرآن (٢٨٦/١)، وانظر تفسير القرطبي (١٦٨/٢٠)، وجمال القراء (٣١٧/١)، والتحرير والتنوير (٥١٨/٣).
(١٧) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٢٧٣/٤)، والترمذي في سننه (١٥٠/٤)، والنسائي (٢٣٨/٦).
(١٨) أخرجه الحاكم في مستدركه (٧٥٥/١)، وقال: (رواة هذا الحديث كلهم ثقات، وعقبة هذا غير مشهور).

فقال الذين لم يبكوا: لقد جهدنا يا رسول أن نبكي فلم نقدر عليه. فقال: إني قارئها عليكم الثانية فمن بكى فله الجنة، ومن لم يقدر أن يبكي فليتباك»[١٩].

٤ـ ما ورد عن رسول الله ـصلى الله عليه وسلمـ قال: «من قرأ (ألهاكم التكاثر) لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم عليه في دار الدنيا، وأعطي من الأجر كأنما قرأ ألف آية»[٢٠].

المبحث الخامس: سبب نزول السورة:

ذكر أهل التفسير عدة أسباب لنزول هذه السورة [٢١]، ومنها:

١ ـ قال مقاتل وقتادة وغيرهما: نزلت في اليهود حين قالوا: نحن أكثر من بني فلان، وبنو فلان أكثر من بني فلان، ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالا.

٢ ـ وقال ابن عباس ومقاتل والكلبي: نزلت في حيَّين من قريش: بني عبد مناف، وبني سهم، تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف في الإسلام، فقال كل حي منهم نحن أكثر سيدا، وأعز عزيزا، وأعظم نفرا، وأكثر عائذا، فكثر بنو عبد مناف سهما، ثم تكاثروا بالأموات، فكثرتهم سهم، فنزلت (ألهاكم التكاثر) بأحيائكم، فلم ترضوا (حتى زرتم المقابر)، مفتخرين بالأموات.

٣ ـ وقال ابن زيد: نزلت في فخذ من الأنصار. وعن أبى بريدة قال: نزلت (أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ) في قبيلتين من الأنصار وهما بنو حارثة وبنو الحرث، تفاخروا وتكاثروا، فقالت إحداهما: أفيكم مثل فلان وفلان؟ وقالت الأخرى مثل ذلك. تفاخروا بالأحياء ثم قالوا: انطلقوا بنا إلى القبور، فجعلت إحدى الطائفتين تقول: أفيكم مثل فلان؟ وتشير إلى القبر، ومثل فلان؟ وفعل الآخرون مثل ذلك، فأنزل الله هذه السورة.

٤ ـ عن عمرو بن دينار: حلف أن هذه السورة نزلت في التجَّار.

٥ ـ عن شيبان عن قتادة قال: نزلت في أهل الكتاب.

وغير ذلك مما ذكر في أسباب نزول هذه السورة مما هو قريب جدا من هذا السبب، ولا يكاد يختلف عنه، في أن المراد أن سبب نزولها هو تكاثر الناس في شيء مما يتفاخرون به من أمور الدنيا، على وجه مذموم.

---

(١٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٦٢/٢)، وقال: "وهذا إسناده ضعيف بمرة، تابعه محمد بن إبراهيم بن محمد الفزاري عن إبراهيم بن محمد الفريابي. واخرجه الترمذي في نوادر الأصول (١٩٨/٢)، وانظر: الدر المنثور (٦١٠/٨).

(٢٠) تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (٢٧٨/٤).

(٢١) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٩)، وانظر أسباب النزول (٣٠٥)، لباب النقول للسيوطي (٢٣٤)، تفسير الطبري (٢٤/ ٥٧٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥١)، تفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٩).

وعند النظر في هذه الأسباب لا تجد بينها تعارضا، بل يناسب أن تكون السورة جامعة لهذا وغيره مما ينهى عنه في التكاثر المذموم في أمور الدنيا، قال القرطبي بعد ذكره لجملة من الأسباب السابقة: «قلت: الآية تعم جميع ما ذكر وغيره»(٢٢).

المبحث السادس: مقصد السورة:

سبق أن عرفنا أن سورة التكاثر سورة مكية في أظهر قولي أهل العلم، بل يكاد يكون إجماعا، وكثيرا ما يأتي في السور المكية الحديث عن الآخرة، وأهوالها، وما فيها من الجزاء والحساب، والجنة والنار، والصراط والميزان، وغير ذلك مما يكون يوم القيامة.

والإيمان بهذه الأشياء يستلزم الإقرار بالبعث بعد الموت، وأن الموت ليس هو النهاية الأبدية، كما كان يظنه المشركون الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم.

وهكذا هو الأمر في سورة التكاثر، حيث جاءت مقررة لما كان ينكره المشركون، ومحذرة للمؤمنين من مغبة الغفلة والتكاثر في أمور الدنيا، مما يسبب لهم نسيان الآخرة وأهوالها، وما أعده الله للمؤمنين والكفار، فيفجؤهم الأجل على غرة، ويأتيهم الموت على حين غفلة.

قال الصابوني: «وهي -أي سورة التكاثر- تتحدث عن انشغال الناس بمغريات الحياة، وتكالبهم على جمع حطام الدنيا، حتى يقطع الموت عليهم متعتهم، ويأتيهم فجأة وبغتة... وقد تكرر في هذه السورة (الزجر والإنذار) تخويفا للناس، وتنبيها لهم على خطئهم، باشتغالهم بالفانية عن الباقية (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون). وختمت السورة الكريمة ببيان المخاطر والأهوال التي سيلقونها في الآخرة، والتي لا يجوزها ولا ينجو منها إلا المؤمن، الذي قدم صالح الأعمال»(٢٣).

وقال أبو جعفر في كتابه البرهان في تناسب سور القرآن: «سورة التكاثر جاءت بذكر ما شغل وصد عن الاستعداد للآخرة؛ وألهى عن ذكرها؛ وهو التكاثر بالعدد والقرابات والأهلين فقال: (ألهاكم التكاثر) وهو في معرض التهديد والتقريع، وقد أعقب بما يعضد ذلك، وهو قوله: (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)»(٢٤).

وقال ابن عاشور في معرض حديثه عن أغراض سورة التكاثر: «اشتملت على التوبيخ على اللهو عن النظر في دلائل القرآن ودعوة الإسلام بإيثار المال والتكاثر به والتفاخر بالأسلاف وعدم الإقلاع عن ذلك إلى أن يصيروا في القبور، كما صار من كان قبلهم،

(٢٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٩).
(٢٣) صفوة التفاسير للصابوني (٣/ ٥١٩).
(٢٤) البرهان في تناسب سور القرآن بتصرف يسير: ٣٧٥.

وعلى الوعيد على ذلك، وحثهم على التدبر فيما ينجيهم من الجحيم، وأنهم مبعوثون ومسؤولون عن إهمال شكر المنعم العظيم»[٢٥].

وكما ترى فإن كل ما سبق في مقصود السورة يدور حول معنى واحد وغاية متقاربة، وهي ترك الانشغال في الدنيا والتكاثر بها ونسيان الآخرة، وهذا المعنى عليه كثير ممن أشار إلى مقصد السورة، وذهب البقاعي إلى معنى آخر مخالف بعض الشيء عما سبق ذكره من حيث سبب الغرض، وإن كان المؤدى واحدا في نهاية الأمر، حيث قال: «مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع. الذي صورته القارعة. الجمع للمال، والإخلاد إلى دار الزوال»[٢٦].

المبحث السابع: مناسبة السورة لما قبلها:

سورة التكاثر تتحدث عن الزهد في الدنيا والتنبه لها، وفيها ذكر القبور وما فيها من حساب، والسورة التي قبلها -سورة القارعة- تتحدث عن أهوال يوم القيامة، وحال من ثقل ميزانه، ومن خف ميزانه، ومصير كل واحد منهما، وبهذا تكون المناسبة بين السورتين واضحة جلية، والتناسق بينهما ظاهر واضح، فسبحان من أنزل الكتاب وجعله معجزة وموعظة لأولي الألباب.

قال المراغي في تفسيره: «ومناسبتها لما قبلها: أن في الأولى وصف القيامة وبعض أهوالها وجزاء الأخيار والأشرار، وأن في هذه ذكر الجحيم، وهى الهاوية التي ذكرت في السورة السابقة، وذكر السؤال عما قدم المرء من الأعمال في الحياة الدنيا، وهذا بعض أحوال الآخرة»[٢٧].

وقال البقاعي: «لما أثبت في القارعة أمر الساعة، وقسم الناس فيها إلى شقي وسعيد، وختم بالشقي، افتتح هذه بعلة الشقاوة ومبدأ الحشر؛ لينزجر السامع عن هذا السبب، ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكًا لأنه (ألهاكم التكاثر) أي أغفلكم -إلا النادر منكم- غفلة عظيمة عن الموت الذي هو وحده كاف في البعث على الزهد فكيف بما بعده...»[٢٨].

(٢٥) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥١٨).
(٢٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٨/ ٥١٦).
(٢٧) تفسير المراغي (٣٠/ ٢٢٨).
(٢٨) نظم الدرر (٨/ ٥١٦)، وانظر البرهان في تناسب سور القرآن (٣٧٥).

الفصل الثاني: التفسير التحليلي للسورة، وفيه مباحث:

المبحث الأول: معاني الكلمات وما فيها من الغريب:

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ [التكاثر: ١ – ٨].

يقول الله جل وعلا مخاطبا عباده -من المؤمنين وغيرهم ممن سبق ذكرهم في سبب نزول هذه السورة- خطاب عتاب وتوبيخ: (ألهاكم التكاثر) عن الطاعة وعن المصير المحتوم الذي ينتظركم يوم القيامة.

وقوله تعالى (ألهاكم): ألهى: أي شغل المعني بشيء عن شيء آخر، قال ابن عطية: ««ألهى» معناه: شغل بلذاته، ومنه لهو الحديث والأصوات واللهو بالنساء»[٢٩].

وقال الراغب: «اللهو: ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه. ويقال: ألهاه كذا. أي: شغله عما هو أهم إليه، قال تعالى: (ألهاكم التكاثر)»[٣٠].

وقوله تعالى (التكاثر): ولم يذكر المتكاثر به، ليشمل ذلك كل ما يتكاثر به المتكاثرون، ويفتخر به المفتخرون، من التكاثر في الأموال، والأولاد، والأنصار، والجنود، والخدم، والجاه، وغير ذلك مما يقصد منه مكاثرة كل واحد للآخر، وليس المقصود به الإخلاص لله تعالى[٣١].

وأصل الكثرة الزيادة، والمكاثرة المزايدة، قال ابن فارس: «الكاف والثاء والراء أصل صحيح يدل خلاف القلة. من ذلك الشيء الكثير، وقد كثر. ثم يزاد فيه للزيادة في النعت فيقال: الكوثر: الرجل المعطاء. وهو فوعل من الكثرة، ويقال: كاثر بنو فلان بني فلان فكثروهم، أي كانوا أكثر منهم. وعدد كاثر، أي كثير. قال الأعشى:

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العـزة للكاثر[٣٢]

وقد نبه بعض أهل العلم إلى أن التكاثر المذموم هو التكاثر الباعث على الانشغال بالدنيا عن الآخرة.

قال النيسابوري في تفسيره: «قالت العلماء: التكاثر مطلقا ليس بمذموم لأن التكاثر في العلم والطاعة والأخلاق الحميدة ليس بمذموم إذا كان المراد أن يقتدي به غيره، كما مر في قوله: (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ) [الضحى: ١١]، وإنما المذموم ما يكون الباعث عليه الاستكبار وحب الجاه والغلبة والفخر بما لا سعادة حقيقية فيه، وليست

---

(٢٩) المحرر الوجيز (٥/ ٥١٨).
(٣٠) المفردات (٧٤٨).
(٣١) السعدي (٩٣٣).
(٣٢) المعجم (٥/ ١٦١).

السعادة الحقيقية إلا فيما يرجع إلى العلم والعمل، أو إلى ما يعين عليهما من الأمور الخارجية. عن الحسن رضي الله عنه: «لا تغرنك كثرة من ترى حولك؛ فإنك تموت وحدك، وتبعث وحدك، وتحاسب وحدك»[٣٣].

وقوله تعالى (حتى زرتم المقابر): أي ما زلتم مشتغلين بالتكاثر والتفاخر فيما تتكاثرون به، حتى زرتم المقابر بأن متم ودفنتم فيها، وقيل حتى زرتم المقابر وأنتم أحياء، من أجل الفخر بأمواتكم، والتكاثر بهم، على ما سبق ذكره في سبب نزولها، والأظهر هو الأول والله تعالى أعلم؛ لأنها إنما نزلت لوعظ الناس وزجرهم عن التكاثر فيما لا يفيد.

قال ابن فارس: «الزاء والواو والراء أصل واحد يدل على الميل والعدول. من ذلك الزور: الكذب؛ لأنه مائل عن طريقة الحق... والزور: الميل. يقال ازور عن كذا، أي مال عنه، ومن الباب: الزائر، لأنه إذا زارك فقد عدل عن غيرك»[٣٤].

وحقيقة الزيارة الحلول في المكان حلولا غير مستمر، فأطلق فعل الزيارة هنا تعريضا بهم بأن حلولهم في القبور يعقبه خروج منها، والتعبير بالفعل الماضي في زرتم لتنزيل المستقبل منزلة الماضي؛ لأنه محقق وقوعه مثل: (أتى أمر الله)[٣٥].

والمراد حتى صرتم أيها المتكاثرون إلى المقابر فدفنتم فيها؛ وفي هذا دليل على صحة القول بعذاب القبر، لأن الله -تعالى ذكره- أخبر عن هؤلاء القوم الذين ألهاهم التكاثر، أنهم سيعلمون ما يلقون إذا هم زاروا القبور وعيدا منه لهم وتهدّدا، وأن البرزخ دار مقصود منها النفوذ إلى الدار الباقية، لأن الله سماهم زائرين، ولم يسمهم مقيمين[٣٦].

والمقابر: جمع مقبرة بفتح الموحدة وبضمها. والمقبرة الأرض التي فيها قبور كثيرة، والمراد هنا حتى أتيتم القبور، قال الراغب: «القبر: مقر الميت، ومصدر قبرته: جعلته في القبر، وأقبرته: جعلت له مكانا يقبر فيه.. والمقبرة موضع القبور، وجمعها: مقابر. قال تعالى: (حتى زرتم المقابر)، كناية عن الموت»[٣٧].

وسمي القبر قبرا لأنه يخفي صاحبه، ويجعل أمره من الناس في غموض، قال ابن فارس: «القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء وتطامن. من ذلك القبر: قبر الميت»[٣٨].

وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون): كلا حرف ردع وزجر، وقيل هي بمعنى حقًا، وقيل غير ذلك[٣٩].

---

(٣٣) تفسير النيسابوري (٦/ ٥٥٥).
(٣٤) المعجم (٣/ ٣٦).
(٣٥) انظر التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٠).
(٣٦) انظر تفسير الطبري (٢٤/٥٨٠)، تفسير السعدي (٩٣٣)، تفسير ابن كثير (٨/٤٥٠).
(٣٧) المفردات (٦٥١).
(٣٨) المعجم (٥/٤٧).

والمراد ليس الأمر على ما تظنون وتأملون من التكاثر في الدنيا ونسيان الآخرة.
قال ابن عباس: «(كلا سوف تعلمون) ما ينزل بكم من العذاب في القبر، (ثم كلا سوف تعلمون) في الآخرة إذا حل بكم العذاب».
وقيل: «(كلا سوف تعلمون) عند المعاينة، أن ما دعوتكم إليه حق، (ثم كلا سوف تعلمون): عند البعث أن ما وعدتكم به صدق»(٤٠).
و قال الحسن البصري: «هذا وعيد بعد وعيد، وقال الضحاك: «(كلا سوف تعلمون) يعني أيها الكفار، (ثم كلا سوف تعلمون) يعني أيها المؤمنون»(٤١).
وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين): كرر -سبحانه وتعالى- كلمة (كلا) للردع والزجر، وقيل هي هنا بمعنى حقا(٤٢)، وقيل بل هي وقيل: إن كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى «ألا»(٤٣).
واختلف أهل التأويل في وقت العلم، هل المراد لو تعلمون في الدنيا علم اليقين، أم المراد لو تعلمون ذلك بعد الدنيا في البرزخ، أو في يوم القيامة -مع اتفاقهم على أن حذف جواب لولا يراد به التهويل والتخويف فهذا الحذف يجعل النفوس تذهب في تقديره كل مذهب ممكن-، وعليه أيضا يكون الاختلاف في (اليقين) ما المراد به:
القول الأول: قال الحسن ومجاهد (كلا لو تعلمون علم اليقين) أي: لو تعلمون الأمر الذي أنتم صائرون إليه علما يقينا كعلمكم ما هو متيقن عندكم في الدنيا، وجواب لو محذوف، أي: لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم فيه(٤٤).
القول الثاني: (لو تعلمون علم اليقين) إذا دخلتم قبوركم، وجاءكم منكر ونكير، وحاط بكم هول السؤال، وانقطع منكم الجواب(٤٥).
القول الثالث: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدّامكم من هول لقاء الله(٤٦).

---

(٣٩) انظر التحفة الوفية (١/ ٢٦)، والجنى الداني (٩٨/١).
(٤٠) القرطبي (٢٠/ ١٢٧).
(٤١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢).
(٤٢) ذكره الشوكاني في الفتح عن الفراء (٥/ ٥٩٧).
(٤٣) القرطبي (٢٠/ ١٧٣).
(٤٤) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٧) وانظر تفسير ابن كثير تفسير (٨/ ٤٥٢) و التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).
(٤٥) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٣).
(٤٦) تفسير الزمخشري (٤/ ٧٩٢)، وانظر تفسير القرطبي.

والمتأمل لهذه الأقوال يتبين له أنه لا تعارض بينها، ويمكن حمل الآية على هذه الأقوال الثلاثة، فإن العبد لو عَلِم عِلْمَ اليقين ما سيلاقيه وهو في الدنيا؛ لعمل واجتهد فيما يطلب منه، ولو تبين له ذلك عند الموت وسكرته، أو علمه عند القبر وعذابه وضمته، أو عاينه يوم القيامة في شدة الأهوال، فإنه سيندم أشد الندم، ويتمنى أنه عمل لهذا اليوم واجتهد، وعلمه اليقيني يكون بوجود ما يدفع الشك، سواء كان الموت، أو البرزخ، أو أهوال يوم القيامة، نسأل الله أن يسلمنا من عذابه، وأن يحشرنا في زمرة أحبابه.

وفي هذا –والله أعلم– تنبيه على فضيلة الكمَّل من المؤمنين، فإن من قوي يقينه بالله وتصديقه بوعده ووعيده استعد للقائه، وصار ندمه أقل من ندم غيره.

وقوله تعالى (لترون الجحيم، ثم لترونها عين اليقين): هذا وعيد آخر، وقيل: بل هو تفسير للوعيد المتقدم في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون)، والمراد أنكم سترون النار يوم القيامة وأهوالها وشدتها، وقيل: إن اللام لام القسم، وهذا أشد في التهويل والتقريع، ثم سترون النار عين يقين لا شك فيه، بأن تروها بأبصاركم أو تدخلوها وتعالجوا عذابها، وعين اليقين: حقيقته وغايته.

وهل الخطاب في قوله (لترون) للكفار المستحقين للدخول فيها، وأنه دليل على دوامهم فيها، أم هو عام لقوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) [مريم: ٧١]؟ بكلا القولين قيل، ولا تعارض بينهما فإن كل هذا حاصل، وحمل الآية على العموم أولى من قصرها على معنى واحد[٤٧].

وقوله تعالى (ثم لتسألن يومئذ عن النعيم): ثم ليسألنكم الله -عز وجل- عن النعيم الذي كنتم فيه في الدنيا، ماذا عملتم فيه؟ من أين وصلتم إليه؟ وفيم أصبتموه؟ وماذا عملتم به؟ هل قمتم بشكره، وأديتم حق الله فيه، ولم تستعينوا به على معاصيه، فينعمكم نعيمًا أعلى منه وأفضل؟ أم اغتررتم به، ولم تقوموا بشكره؟ بل ربما استعنتم به على معاصي الله فيعاقبكم على ذلك، قال تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) [الأحقاف: ٢٠][٤٨].

ومن المخاطب بهذا السؤال؟ هل هم المؤمنون، أم الكفار؟

الكلام هنا كالكلام في المسألة السابقة في من المراد في قوله تعالى: (كلا لو تعلمون علم اليقين)، وكما قيل هناك يقال هنا، وهو جواز حمل الآية على الأمرين، فإن الكافر يسأل عن النعيم الذي أعطاه الله إياه في الدنيا، لماذا لم يؤد حقه، ويشكر عليه الله ربه، ويصرف العبادة له سبحانه وحده.

---

(٤٧) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨/ ٤٥٢)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٧).

(٤٨) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨١)، تفسير السعدي (٩٣٤).

وكذلك المسلم الذي أنعم الله عليه بالنعم، ولم يؤد حق الله تعالى فيها، سيسأل عنها يوم القيامة، ويحاسب على كفره بنعمة الله على قدر كفره، نسأل الله أن يرزقنا شكر النعمة وحسن العبادة.

وسيأتي في مبحث قادم -إن شاء الله- تفصيل الكلام في النعيم الذي سيسأل عنه العبد، مع ذكر أقوال أهل التفسير في ذلك، وبيان الراجح منها.

المبحث الثاني: القراءات الواردة في السورة:

المطلب الأول: تعريف القراءات لغة واصطلاحا:

القراءات لغة: جمع قراءة، وهي مصدر قرأ قراءة وقرآنًا بمعنى: تلا تلاوة، وهي في الأصل بمعنى الجمع والضم.

قال ابن منظور: «قَرَأَهُ يَقْرَؤُهُ ويَقْرُؤُهُ، قَرْءًا وقِراءَةً وقُرآنًا، فَهُوَ مَقْرُوءٌ. ويُسمى كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَنزله عَلَى نَبِيَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كِتَابًا وقُرْآنًا وفُرْقانًا، وَمَعْنَى القُرآن مَعْنَى الْجَمْعِ، وَسُمِّيَ قُرْآنًا لأَنه يَجْمَعُ السُّوَر، فيَضُمُّها»[٤٩].

وقال الراغب: «وقول أهل اللغة: إن القرء من: قرأ، أي: جمع، فإنهم اعتبروا الجمع بين زمن الطهر وزمن الحيض حسبما ذكرت لاجتماع الدم في الرحم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكل جمع. لا يقال: قرأت القوم: إذا جمعتهم، ويدل على ذلك أنه لا يقال للحرف الواحد إذا تفوه به قراءة، والقرآن في الأصل مصدر، نحو: كفران ورجحان. قال تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) [القيامة: ١٧- ١٨] قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به، وقد خص بالكتاب المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، فصار له كالعلم كما أن التوراة لما أنزل على موسى، والإنجيل على عيسى صلى الله عليهما وسلم. قال بعض العلماء: «تسمية هذا الكتاب قرآنا من بين كتب الله لكونه جامعا لثمرة كتبه»، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: (وتفصيل كل شيء) [يوسف: ١١١]، وقوله: (تبيانا لكل شيء) [النحل/ ٨٩]، (قرآنا عربيا غير ذي عوج) [الزمر: ٢٨]، (وقرآنا فرقناه لتقرأه) [الإسراء: ١٠٦].

وأقرأت فلانا كذا، قال: (سنقرئك فلا تنسى) [الأعلى: ٦]، وتقرأت: تفهمت، وقارأته: دارسته[٥٠].

أما القراءات اصطلاحا: فهي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة. خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك. والمقرئ العالم بها ورواها مشافهة، فلو حفظ

(٤٩) لسان العرب (١/ ١٢٨).

(٥٠) المفردات في غريب القرآن (٦٦٨).

«التيسير» مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[٥١].

المطلب الثاني: القراءات الواردة في السورة:

اختلفت القراءات في بعض كلمات هذه السورة، والمقصود هنا الاختلاف في الكلمات الفرشية وهو الذي سيذكر هنا، أما الخلاف في أصول القراء، فلن يذكر، لأن الاختلاف فيه في الغالب لا يؤثر في المعنى شيئًا، ولأن أهل التفسير أيضا لا يذكرونه في كتبهم، وإنما يذكر في الكتب المختصة المفردة للقراءات.

والكلمات التي وردت بها قراءات مختلفة في هذه السورة هي:

أولا: قوله تعالى (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيم):

اختلف في كلمة (لترون): قرأها ابن عامر والكسائي (لَتُرَوُنَّ الْجَحِيمَ) بضم التاء. وقرأها الباقون (لَتَرَوُنَّ).

واتفقوا على فتح التاء في الثانية، وهو قوله تعالى: (ثم لترونها عين اليقين)؛ لأن المعنى فيه: أنهم يرونها، أي تريهم أولًا الملائكة، أو من شاء، ثم يرونها بأنفسهم، ولهذا قال الكسائي: إنك لترى أولا، ثم ترى -والله أعلم-[٥٢].

قال الشاطبي:

وَتَا «تَرَوُنَّ» اضْمُمْ في الأُولَى كَمَا رَسَا وَجَمَّعَ بِالتَّشْدِيدِ شَافِيهِ كَلا [٥٣]

وهذه الكلمة الوحيدة في السورة التي قرئ بها بقراءتين متواترتين.

وقدمتها على غيرها لتواترها؛ لا لكونها أول آية ورد فيها قراءة أخرى.

وما سيأتي من القراءات ليست قراءات متواترة، بل إما شاذة، وإما غير مشهورة.

ثانيا: قوله تعالى: (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيم، ثم لترونها عين اليقين):

روي عن الحسن وأبي عمرو أنهما همزا «لترؤن، ولترؤنها» بخلاف عنهما، وروى ابن كثير: «ثم لتُرونها» بضم التاء [٥٤].

ويكون معناها على نحو ما سبق في (لَتُرَوُنَّ).

---

(٥١) منجد المقرئين ومرشد الطالبين (ص: ٩).

(٥٢) النشر في القراءات العشر (٢/ ٤٠٣)، وانظر: تحبير التيسير في القراءات العشر (١/ ٦١٧)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (٥٩٧/١)، معاني القراءات للأزهري (٣/ ١٦٠)، العنوان في القراءات السبع (١/ ٢١٣)، الإقناع في القراءات السبع (٣٩٥/١)، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني (١/ ٤٤٥).

(٥٣) الشاطبية البيت رقم (١١١٧).

(٥٤) تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٩) وانظر: الكشاف (٤/ ٧٩٩)، معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٣٥٨).

وأما القراءة بالهمز فلا تغير المعنى وإنما من قرأها بالهمز استثقل الضمة على الواو فأبدلها همزة.

ثالثا: قوله تعالى (ألهاكم):

قرأها ابن عباس رضي الله عنهما: (أألهاكم) على استفهام التقرير والإنكار(٥٥).

وقرأ معاوية، وعائشة رضي الله عنهما: (آلهاكم) بهمزة واحدة ممدودة استفهامًا أيضًا(٥٦).

المبحث الثالث: النكت البلاغية في السورة:

في السورة إشارات بلاغية لطيفة، ومنها:

١ – في قوله تعالى (حتى زرتم المقابر):

عبَّر -سبحانه وتعالى- بلفظ الزيارة للمقابر، ولم يعبر بلفظ الموت، ولا بالبعث بعد الموت، وفي هذا تعريض بديع، وإشارة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهذا الأمر مبني على ما سبق ذكره في سبب النزول من أن تفاخرهم ألهاهم حتى زاروا المقابر أمواتا، لا على ما قيل من أن الزيارة حقيقية حيث زاروا المقابر ليتفاخروا بأمواتهم، كما تفاخروا بأحيائهم، فإنها حينئذٍ تكون على ظاهرها، أما على القول الآخر في سبب النزول فيظهر فيها معنى بديع حيث عبر عن الموت بالزيارة، ومن ذلك قول جرير للأخطل:

زار القبور أبو مالك فأصبح ألأم زوارها(٥٧)

قال الطاهر ابن عاشور: «وحقيقة الزيارة الحلول في المكان حلولا غير مستمر، فأطلق فعل الزيارة هنا تعريضا بهم بأن حلولهم في القبور يعقبه خروج منها. والتعبير بالفعل الماضي في زرتم لتنزيل المستقبل منزلة الماضي لأنه محقق وقوعه مثل: (أتى أمر الله)[النحل: ١]»(٥٨).

وقال ابن كثير: «وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سلمة بن أبي داود العرضي، حدثنا أبو المليح الرقي عن ميمون بن مهران قال: كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ: (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة ثم قال: يا ميمون ما أرى المقابر إلا زيارة، وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله. وقال أبو محمد: يعني أن يرجع إلى منزله أي إلى جنة أو إلى نار، وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو

---

(٥٥) اللباب في علوم الكتاب (٢٠/ ٤٧٦)، وانظر: البحر المحيط في التفسير (١٠/ ٥٣٦)، مفاتيح الغيب للرازي (٢٧٠/٣٢)، تفسير ابن عطية (٥/ ٥١٨)، زاد المسير (٦/ ١٨٧) وغيرها.

(٥٦) زاد المسير (٦/ ١٨٧).

(٥٧) ديون جرير (٣٠٠/١).

(٥٨) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٠).

هذه الآية: (حتى زرتم المقابر)، فقال: بعث اليوم ورب الكعبة، أي إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره»[٥٩].

٢ ـ في قوله تعالى (كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون):

كرر -سبحانه وتعالى- هذه الآية مرتين على التوالي، وجاءت الثانية معطوفة على الأولى بحرف العطف «ثم»، ومما ذكر حول هذا التكرار:

روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله: (كَلاَّ سَوفَ تَعْلمُونَ) ما ينزل بكم من العذاب في القبور، (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلمُونَ) في الآخرة إذا حل بكم العذاب.

فجعل كل جملة مرادا بها تهديد بشيء خاص.

وقيل: أكد الزجر والوعيد بقوله: (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)، فعطف عطفا لفظيا بحرف التراخي أيضا؛ للإشارة إلى تراخي رتبة هذا الزجر والوعيد عن رتبة الزجر والوعيد الذي قبله، فهذا زجر ووعيد مماثل للأول لكن عطفه بحرف، «ثم» اقتضى كونه أقوى من الأول لأنه أفاد تحقيق الأول وتهويله.

فجملة (ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ) توكيد لفظي لجملة (كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ)، وإنما أعيد الزجر ثالث مرة زيادة في إبطال ما هم عليه من اللهو عن التدبر في أقوال القرآن لعلهم يقلعون عن انكبابهم عن التكاثر مما هم يتكاثرون فيه ولهوهم به عن النظر في دعوة الحق والتوحيد.

وفي جملة (لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ) تهويل وإزعاج لأن حذف جواب «لو» يجعل النفوس تذهب في تقديره كل مذهب ممكن. والمعنى: لو تعلمون علم اليقين لتبين لكم حال مفظع عظيم، وهي بيان لما في «كلا» من الزجر والتهديد ثم كرره للتأكيد، وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين وحذف معمول تعلمون وتقديره تعلمون ما يحل بكم أو تعلمون أن القرآن حق أو تعلمون أنكم كنتم على خطأ في اشتغالكم بالدنيا وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله.

وقيل بل الأول وعيد للكفار والثاني وعد للمؤمنين [٦٠].

وكل ما سبق سائغ وفيه من بلاغة القرآن ما هو ظاهر، من التكرار للوعيد وتأكيده، أو لتغاير الحال -فالأول في القبر والثاني للقيامة- مع أن الجملة واحدة، وما فيه من حذف جواب «لو» ليكون العبد على استعداد وتذكر وتخوف دون أن يحصر تفكيره في شيء معين.

---

(٥٩) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢).

(٦٠) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢)، القرطبي (٢٠/ ٢٧٣)، التحرير والتنوير (٣٠/ ٤٥٦)، التسهيل لابن جزي (٣/ ٣٥٧)، اللباب (٢٠/٢٧٩).

إلا أنه ربما يقال أن من قال إن الثانية وعد للمؤمنين، أن هذا بعيد، لأن الآية إنما سيقت تهديدا ووعيدا، فالقول بأن فيها وعدًا فيه بعدٌ، والله أعلم.

المبحث الرابع: المعنى الإجمالي للسورة:

يقول الله تعالى مخاطبا عباده الذين أشغلهم التكاثر بالدنيا عن الآخرة: (ألهاكم التكاثر) أي أشغلكم، وصرفكم عن طاعة الله وعن السعي للآخرة التكاثر في الدنيا، ولم يذكر -جل ذكره- ما هو المتكاثر به، ليعم كل أمر من أمور الدنيا يتكاثر به تكاثرا يلهيه عن الآخرة من مال ملك أو ولد أو عشيرة أو غير ذلك، وفي هذا توبيخ لمن تكاثر بشيء يلهيه عن الآخرة، من الكفار أو المؤمنين، وأخبر سبحانه أن هذا التكاثر الذي أشغلهم له أمد ينتهي عنده، وهو الموت وزيارة القبور زيارة مؤقتة، ينتقلون منها بعد ذلك إلى يوم القيامة وأهواله وشدائده، ثم توعدهم أخرى وزجرهم بقوله: (كلا سوف تعلمون) ما ينتظركم أمامكم وما هي عاقبة تكاثركم وانشغالكم عن الآخرة، ثم كرر هذا الوعيد تغليظا وتشديدا وتخويفا، ثم أعاد ثالثةً الزجر بكلا، ونبههم إلى أنهم لو علموا علما يقينيا لا شكك فيه ما هم ملاقوه، لتغير حالهم وحسنت أعمالهم، وأخبر أن هذا العلم اليقيني سيتحقق حتما، وذلك عند رؤيتهم للجحيم وهي النار، فالكافر يراها ويدخلها مخلدا فيها، والفاسق يراها ويدخلها بقدر فسقه، إن لم يتداركه الله برحمته، ومن أراد الله نجاته من المؤمنين فيراها، ويحمد الله أن نجاه منها وسلمه من عذابها، وحينئذ يوقن الجميع بعذاب الله ورحمته ويندم من غرته دنياه وألهته عن آخرته، وأخبرها سبحانه أنه سيرون هذه النار معاينة رؤية حقيقية لا مراء فيها ولا شك، ولا ينتهي الأمر عند رؤية النار فحسب بل كما سبق قريبا من أن هناك من سيدخلها ويعالج زقومها وصديدها نسال الله لنا ولوالدينا السلامة منها، بل الأمر أشد تنكيلا وأعظم تقريعا فإنهم سيسألون عن النعيم الذي تنعموا به في الدنيا، من مال وصحة وولد وغير ذلك من نعيم الدنيا، هل استعملوه في طاعة الله أم في معصيته، وهذا بلا شك أشد في التقريع والتوبيخ، وأشد على النفس، فإن العذاب بعد المحاسبة والتوبيخ أشد من مجرد العذاب وحده دون توبيخ وتقريع، وفي هذه السورة من الموعظة ما يكفي العاقل ويدفعه إلى العمل للآخرة الباقية، والتقلل من الدنيا الفانية، ولكن الموفق من وفقه الله والمحروم من حرمه الله ولا يهلك على الله بعد هذا المواعظ والزواجر إلا هالك.

وقد دلت السورة على عذاب القبر وعلى أن العباد مبعوثون بعد موتهم مجزيون على أعمالهم كما دلت على وجود النار وأن الخلائق يرونها يوم القيامة في ذلك الموقف العظيم والحال كما وصف ربنا سبحانه وتعالى (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ

اللهِ شَدِيدٌ) [الحج: ٢]، ومآلهم كما أخبرنا الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: «فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس في نار جهنم»(٦١)، نسأل الله السلامة والعافية.

الفصل الثالث: التفسير الموضوعي للسورة

وفيه مباحث:

المبحث الأول: تقرير عقيدة البعث بعد الموت ووقوع الجزاء بعد الحساب:

من الأصول المتقررة عند أهل السنة والجماعة أن الناس يبعثون بعد موتهم من قبورهم، ويجازون بأعمالهم بعد بعثهم.

قال الطحاوي رحمه الله: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان»(٦٢).

ويدل على هذا أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، منها:

أولاً: من القرآن:

١ – قوله تعالى: (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) [التغابن: ٧].

٢ – وقوله تعالى: (ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ) [المؤمنون: ١٥-١٦].

٣ – وقوله تعالى: (يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ) [المعارج: ٤٣].

٤ - وقوله تعالى: (قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون) [المؤمنون: ١١٥].

٥ - قوله تعالى: (قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) [الإسراء: ٥١].

٦ - قوله تعالى: (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) [غافر: ٤٦].

٧ - وقوله تعالى: (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون) [الأنبياء: ٣٩ - ٤٠].

وغير ذلك من الأدلة الكثيرة في كتاب الله تعالى.

---

(٦١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٩/ ١٥٩)، وبنحوه مسلم باب أدنى أهل الجنة منزلة (١٨٦/١).

(٦٢) متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص: ٧٢).

ثانيًا من السنة:

وردت أحاديث كثيرة في إثبات اليوم الآخر، وما يسبقه من البعث، وما فيه من الحساب والجزاء وغير ذلك من الأهوال العظيمة، ومنها:

١ـ عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأ أحد»(٦٣).

٢ – حديث جبريل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وفيه: «قال ـ أي جبريل ـ: يا رسول الله، فحدثني ما الإيمان؟ قال: «الإيمان أن تؤمن بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وتؤمن بالموت، وبالحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار، والحساب، والميزان، وتؤمن بالقدر كله خيره وشره»، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: «إذا فعلت ذلك فقد آمنت»(٦٤).

٣ – عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين النفختين أربعون قال أربعون يوما قال أبيت قال أربعون شهرا قال أبيت قال أربعون سنة قال أبيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»(٦٥).

٤ – عن أبي هريرة، رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة»(٦٦).

٤ - عن أنس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»(٦٧).

* وغير ذلك من الأدلة المتواترة، إما تواترا لفظيا، أو تواترا معنويا، كأحاديث الشفاعة.

وأجمع المسلمون على هذا إجماعًا قطعيًا، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة ويلاقون ربهم ويجازون بأعمالهم.

---

(٦٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي (٦/٢٢٢).

(٦٤) رواه أحمد في مسنده برقم ٢٩٢٤، وأصله في الصحيحين.

(٦٥) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي (٦/ ٢٠٥)، ومسلم: باب ما بين النفختين (٤/ ٢٢٧٠).

(٦٦) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب بدء الوحي (٦/١٥٨).

(٦٧) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (١/١٧)، وأخرجه مسلم بلفظ مقارب: باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٠).

قال السفاريني في لوامع الأنوار: «اعلم أنه يجب الجزم شرعا أن الله تعالى يبعث جميع العباد ويعيدهم بجميع أجزائهم الأصلية وهي التي شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره، ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء، فإن هذا حق ثابت بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة مع كونه من الممكنات التي أخبر بها الشارع»(٦٨).

المبحث الثاني: مواعظ السورة:

وفيه مطالب:

المطلب الأول: ما في السورة من الحث على زيارة القبور:

تميزت هذه السورة بموعظة الناس وتذكيرهم بالآخرة، وكذلك السورة التي قبلها سورة القارعة والعاديات والزلزلة، ففي هذه السورة مواعظ بليغة لمن اتعظ.

إلا أنه لم يأت ذكر المقابر في سورة من القرآن إلا في هذه السورة، قال القرطبي: «لم يأت في التنزيل ذكر المقابر إلا في هذه السورة»(٦٩).

وتعقبه صاحب اللباب فقال: «وفيه نظر؛ لأنه تعالى قال في سورة أخرى: (ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ) [عبس: ٢١]»(٧٠).

والحق أن كلام القرطبي صحيح، فإنه لم يأت ذكر المقابر التي يراد بها المكان المخصص للقبور إلا في هذه السورة، وإلا فإنه يبعد أن يقصد القرطبي أنه لم يذكر القبر بتصاريف الكلمة إلا في هذه السورة، فإن مثل هذا لا يخفى على مثله، خصوصا أن هذا ذكر في السورة التي قبلها قريبا، وهي سورة العاديات في قوله تعالى: (أَفَلاَ يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي القبور) [العاديات: ١٩]. فتبين أن مراد القرطبي المقابر ذاتها، ولا يخفى على المتأمل الفرق بين زيارة قبر، أو قبور في مكان ما، وبين زيارة المقبرة المعدة للقبور، فإن فيها من العبرة والعظة ما ليس في غيرها.

ولم يتبين لي في هذه السورة وجه حث مباشر على زيارة القبور، ولم أجد من المفسرين من خلال ما بحثت فيه من كتب من ذكر أن السورة فيها حث على زيارة القبور، وإن كان المفسرون يتكلمون عن زيارة القبول عند هذه السورة، ولعل سبب هذا والله أعلم أن السورة ذكر فيها المقابر، وأيضا أن فيها تهديدا ووعيدا وزجرا عن التكاثر في الدنيا الذي يلهي عن الآخرة، ومما يذكر العبد بالآخرة، ويصرفه عن الدنيا زيارة المقابر والتأمل في حال المقبورين، وأحسب والعلم عند الله أن هذه السنة -التي هي زيارة القبور على وجه الاتعاظ- من السنن التي تكاد تكون مهجورة في زماننا، فلم يعد الناس في هذا الزمان كالسابق في كثرة زيارتهم للمقابر، بل ولا حتى في الاتعاظ حال دفن الميت، نسأل الله أن يهدينا لصالح القول والعمل.

---

(٦٨) لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٧).

(٦٩) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٠).

(٧٠) اللباب في علوم الكتاب (٤٧٧/٢٠).

وقد جاء في زيارة القبور أحاديث ترغب فيها وتحث عليها، ومنها:

أنه -صلى الله عليه وسلم- كان يفعله، كما في زيارته لأهل البقيع [٧١]، وكذلك حثه -صلى الله عليه وسلم- أمته على زيارة القبور، ومن ذلك ما جاء عن عن سليمان ابن بريدة عن أبيه قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة»[٧٢].

قال العلماء: ينبغي لمن أراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر إلى طاعة ربه، أن يكثر من ذكر هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وموتم البنين والبنات، وزيارة قبور أموات المسلمين. فينبغي لمن قسا قلبه، ولزمه ذنبه، أن يستعين بهذه الأمور على دواء دائه، ويستصرخ بها على فتن الشيطان وأعوانه، فإن انتفع بالإكثار من ذكر الموت، وانجلت به قساوة قلبه فذاك، وإن عظم عليه ران قلبه، واستحكمت فيه دواعي الذنب، فإن زيارة قبور أموات المسلمين، تبلغ في دفع ذلك ما لا يبلغه الأول، لأن ذكر الموت إخبار للقلب بما إليه المصير، وقائم له مقام التخويف والتحذير. وفي زيارة قبر من مات من المسلمين معاينة ومشاهدة، فلذلك كان أبلغ من الأول، وليس الخبر كالمعاينة. فأما الاعتبار بحال المحتضرين، فغير ممكن في كل الأوقات، وقد لا يتفق لمن أراد علاج قلبه في ساعة من الساعات. وأما زيارة القبور فوجودها أسرع، والانتفاع بها أليق وأجدر. فينبغي لمن عزم على الزيارة، أن يتأدب بآدابها، ويحضر قلبه في إتيانها، ولا يكون حظه منها التطواف على الأجداث فقط، فإن هذه حالة تشاركه فيها بهيمة. ونعوذ بالله من ذلك. بل يقصد بزيارته وجه الله تعالى، وإصلاح فساد قلبه، أو نفع الميت بالدعاء له، ويتجنب المشي على المقابر، والجلوس عليها ويسلم إذا دخل المقابر وإذا وصل إلى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه أيضا، وأتاه من تلقاء وجهه، لأنه في زيارته كمخاطبته حيا، ولو خاطبه حيا لكان الأدب استقباله بوجهه، فكذلك ها هنا.

ثم يعتبر بمن صار تحت التراب، وانقطع عن الأهل والأحباب، بعد أن قاد الجيوش والعساكر، ونافس الأصحاب والعشائر، وجمع الأموال والذخائر، فجاءه الموت في وقت لم يحتسبه، وهول لم يرتقبه.

فليتأمل الزائر حال من مضى من إخوانه، ودرج من أقرانه الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال، كيف انقطعت آمالهم، ولم تغن عنهم أموالهم، ومحا التراب محاسن وجوههم، وافترقت في القبور أجزاؤهم، وليتذكر ترددهم في المآرب، ركونهم إلى

---

(٧١) رواه مسلم في قصة ساقها (٢/ ٦٦٩).

(٧٢) رواه أبوداود في سننه (١٧٠/٢٠)، وصححه الألباني، وأصله عند مسلم (٣/ ١٥٦٣).

الصحة والشباب. وليعلم أن ميله إلى اللهو واللعب كميلهم، وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع، والهلاك السريع، كغفلتهم، وأنه لا بد صائر إلى مصيرهم..»[٧٣].

المطلب الثاني: حكم زيارة القبور، وخلاف أهل العلم فيه:

في بداية الإسلام نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم- الصحابة عن زيارة القبور، كما في قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي سبق قريبا: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن في زيارتها تذكرة»[٧٤]، فتغير الحال من النهي إلى الأمر.

وزيارة القبور على ثلاثة أقسام:

١- **الزيارة السُنّية:** وهي التي ينتفع بِهَا الزائر والْمَزُور، وتشمل السَّلام على الميت، والدعاء له بالرحمة والمغفرة.

٢- **الزيارة البدعية:** وهي الاعتقاد بأن الدعاء عند قبر مُعَيّن مستجاب، فيزورها رجاء لذلك، وكذلك زيارتها للصلاة عنها لله تعالى اعتقادا لفضل ذلك.

٣- **الزيارة الشركية:** وذلك أن تُزار القبور لاعتقاد أن أهلها يَتَوَسَّطون ويشفعون وينفعون عند الله بأنْ يرفعوا حوائج الخلق إلى الله ليقضيها، ويعبدون من دون الله.

والكلام هنا في الزيارة السنية للقبور، والتي يقصد بها نفع الزائر والمزور:

فأما شد الرحال لزيارة القبور، أيا كانت فهو محرم، لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»[٧٥].

وأما زيارتها للرجال فمشروعة، بل هي مستحبة عند جمهور العلماء [٧٦].

قال ابن قدامة: «لا نعلم بين أهل العلم خلافا في إباحة زيارة الرجال القبور. وقال علي بن سعيد: سألت أحمد عن زيارة القبور، تركها أفضل عندك أو زيارتها؟ قال: زيارتها. وقد صح عن النبي - -صلى الله عليه وسلم- - أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكركم الموت». رواه مسلم [٧٧]، والترمذي بلفظ: «فإنها تذكر الآخرة»[٧٨].

---

(٧٣) تفسير القرطبي ٢٠/ ١٧٢ بتصرف يسير.

(٧٤) أخرجه أبوداود في سننه باب في زيارة القبور(٣/ ٢١٢)، وأخرجه بلفظ مقارب: مسلم في باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم (٦٧٢/٢)، وأحمد في مسنده (٣٤١/٧).

(٧٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب بدء الوحي (٧٦/٢)، ومسلم باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد (٢/ ١٠١٤).

(٧٦) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٤٤).

(٧٧) سبق تخريجه قريبا.

(٧٨) المغني لابن قدامة (٤٢٢/٢).

وأما زيارة النساء للقبور فقد اختلف أهل العلم في حكم زيارة القبور على أقوال:

القول الأول: تحريم زيارة النساء للقبور، بل إنها من كبائر الذنوب؛ لحديث ابن عباس رضي الله عنهما؛ قال: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور»[٧٩].

القول الثاني: كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم، لحديث أم عطية: «نهينا عن اتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»[٨٠].

القول الثالث: أنها تجوز زيارة النساء للقبور؛ لحديث المرأة: التي مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بها وهي تبكي عند قبر، فقال لها: «اتقي الله واصبري». فقالت له: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمثل مصيبتي. فانصرف الرسول -صلى الله عليه وسلم- عنها، فقيل لها: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاءت إليه تعتذر؛ فلم يقبل عذرها، وقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»[٨١]، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- شاهدها عند القبر ولم ينهها عن الزيارة، وإنما أمرها أن تتقي الله وتصبر.

ولما ثبت من حديث عائشة الطويل، وفيه: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- خرج إلى أهل البقيع في الليل، واستغفر لهم ودعا لهم، وأن جبريل أتاه في الليل وأمره، فخرج -صلى الله عليه وسلم- مختفيا عن عائشة، وزار ودعا ورجع، ثم أخبرها الخبر؛ فقالت: ما أقول لهم يا رسول الله؟ قال: «قولي: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين..» إلخ [٨٢].

قالوا: فعلمها النبي -صلى الله عليه وسلم- دعاء زيارة القبور، وتعليمه هذا دليل جواز.

القول الرابع: أن زيارة النساء للقبور سنة كالرجال؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة»[٨٣]، وهذا عام للرجال والنساء.

ولأن عائشة -رضي الله عنها- زارت قبر أخيها، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة: أليس النبي -صلى الله عليه وسلم- قد نهى عن زيارة القبور؟ قالت: إنه أمر بها بعد ذلك[٨٤].

---

(٧٩) أخرجه أحمد في مسنده (٤١٧/٣)، وأبو داود باب في زيارة النساء للقبور (٢١٢/٣)، والترمذي (٤٢٢/١).

(٨٠) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٩٩/٢)، ومسلم في باب نهي النساء عن اتباع الجنائز (٦٤٦/٢).

(٨١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب بدء الوحي (٢/ ٩٣)، ومسلم في باب في الصبر على المصيبة (٢/ ٦٣٧).

(٨٢) أخرجه مسلم في صحيحه، مَا يُقَالُ عِنْدَ دُخُولِ الْقُبُورِ وَالدُّعَاءِ لِأَهْلِهَا، (٦٧١/٢).

(٨٣) سبق تخريجه

(٨٤) أخرجه الحاكم في مستدركه (٥٣٢/١، رقم ١٣٩٢)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧٨/٤، رقم ٦٩٩٩).

وهذا دليل على أنه منسوخ.

والصحيح القول الأول، ويجاب عن أدلة الأقوال الأخرى: بأن الصريح منها غير صحيح، والصحيح غير صريح؛ فمن ذلك:

أولا: دعوى النسخ غير صحيحة؛ لأنها لا تقبل إلا بشرطين:

١- تعذر الجمع بين النصين، والجمع هنا سهل و ليس بمعتذر لأنه يمكن أن يقال: إن الخطاب في قوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها» للرجال، والعلماء اختلفوا فيما إذا خوطب الرجال بحكم: هل يدخل فيه النساء أو لا ؟ وإذا قلنا بالدخول ـ وهو الصحيح ـ؛ فإن دخولهن في هذا الخطاب من باب دخول أفراد العام بحكم يخالف العام، وهنا نقول: قد خص النبي -صلى الله عليه وسلم- النساء من هذا الحكم، فأمره بالزيارة للرجل فقط؛ لأن النساء أخرجن بالتخصيص من هذا العموم بلعن الزائرات، وأيضا مما يبطل النسخ قوله: «لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»[٨٥]، ومن المعلوم أن قوله: «والمتخذين عليها المساجد والسرج» لا أحد يدعي أنه منسوخ، والحديث واحد؛ فادعاء النسخ في جانب منه دون آخر غير مستقيم، وعلى هذا يكون الحديث محكما غير منسوخ.

٢- العلم بالتاريخ، وهنا لم نعلم التاريخ؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقل: كنت لعنت من زار القبور، بل قال: «كنت نهيتكم»، والنهي دون اللعن.

وأيضا قوله: «كنت نهيتكم» خطاب للرجال، ولعن زائرات القبور خطاب للنساء؛ فلا يمكن حمل خطاب الرجال على خطاب النساء، إذا؛ فالحديث لا يصح فيه دعوى النسخ.

وثانيا: وأما الجواب عن حديث المرأة وحديث عائشة؛ أن المرأة لم تخرج للزيارة قطعا، لكنها أصيبت، ومن عظم المصيبة عليها لم تتمالك نفسها لتبقى في بيتها، ولذلك خرجت وجعلت تبكي عند القبر، ولهذا أمرها -صلى الله عليه وسلم- أن تصبر؛ لأنه علم أنها لم تخرج للزيارة، بل خرجت لما في قلبها من عدم تحمل هذه الصدمة الكبيرة؛ فالحديث ليس صريحا بأنها خرجت للزيارة، وإذا لم يكن صريحا؛ فلا يمكن أن يعارض الشيء الصريح بشيء غير صريح.

وأما حديث عائشة؛ فإنها قالت للرسول صلى الله عليه وسلم: ماذا أقول؟ فقال: «قولي: السلام عليكم»؛ فهل المراد أنها تقول ذلك إذا مرت، أو إذا خرجت زائرة؟ فهو محتمل؛ فليس فيه تصريح بأنها إذا خرجت زائرة؛ إذ من الممكن أن يراد به إذا مرت بها من غير خروج للزيارة، وإذا كان ليس صريحا؛ فلا يعارض الصريح.

وأما فعلها مع أخيها رضي الله عنهما؛ فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله بن أبي مليكة بلعن زائرات القبور، وإنما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقا؛ لأنه لو استدل عليها بالنهي عن زيارة النساء للقبور أو بلعن زائرات القبور؛ لكنا

(٨٥) سبق تخريجه.

ننظر بماذا ستجيبه، فهو استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور، ومعلوم أن النهي عن زيارة القبور كان عاما، ولهذا أجابته بالنسخ العام، وقالت: إنه قد أمر بذلك، ونحن وإن كنا نقول: إن عائشة رضي الله عنها استدلت بلفظ العموم؛ فهي كغيرها من العلماء لا يعارض بقولها قول الرسول صلى الله عليه وسلم، على أنه روي عنها؛ أنها قالت: «لو شهدتك ما زرتك»(٨٦).

وهذا دليل على أنها رضي الله عنها خرجت لتدعو له؛ لأنها لم تشهد جنازته، لكن هذه الرواية طعن فيها بعض العلماء، وقال: إنها لا تصح عن عائشة رضي الله عنها، لكننا نبقى على الراوية الأولى الصحيحة؛ إذ ليس فيها دليل على أن الرسول - صلى الله عليه وسلم- نسخه، وإذا فهمت هي؛ فلا يعارض بقولها قول الرسول صلى الله عليه وسلم.

فالراجح تحريم زيارة النساء للمقابر، وأنها من كبائر الذنوب (٨٧).

المطلب الثالث: ذكر أقوال المفسرين إجمالا في النعيم الذي يسأل عنه الإنسان يوم القيامة، مع ذكر الراجح من هذه الأقوال:

ذكر المفسرون أقوالا في المراد بهذا النعيم الذي يسال عنه العبد يوم القيامة، ومن هذا الأقوال:

القول الأول: هو الأمن والصحة.

القول الثاني: ما أنعم الله به عليهم مما وهب لهم من السمع والبصر وصحة البدن.

بدليل قوله تعالى: **(**إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا**)** [الإسراء].

القول الرابع: هو العافية.

القول الخامس: بعض ما يطعمه الإنسان، أو يشربه. لحديث جابر بن عبد الله يقول: أتانا النبي -صلى الله عليه وسلم- وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فأطعمناهم رطبا، وسقيناهم ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه».(٨٨).

القول السادس: كل ما التذه الإنسان في الدنيا من شيء.

القول السابع: النعيم الغداء والعشاء.

القول الثامن: شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم،

القول التاسع: الصحة والفراغ.

وذكروا أقوالا أخرى، ولكنها في الجملة لا تخرج عن هذه القوال المذكورة (٨٩).

---

(٨٦) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٩/٣، رقم ١١٨١١).

(٨٧)القول المفيد (٤٢٨/١) بتصرف، وانظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٤/ ٣٤٤)، والمغني لابن قدامة (٤٢٥/٢).

(٨٨) أخرجه ابن حنبل في مسنده (٣٣٨/٣، رقم ١٤٦٧٨).

وعند النظر إلى هذه الأقوال لا نجد بينها تعارضا، بل إن بينها تداخلا كبيرا، وليس هناك ما يمنع من حمل الآية عليها كلها.

قال القرطبي، بعد ذكره لأقوال بعضها مطابقة لما ذكر سابقا، والبعض الآخر قريب منها: «وكل هذه نعم، فيسأل العبد عنها: هل شكر ذلك أم كفر» (٩٠).

المطلب الرابع: في التزهيد في الدنيا، والترغيب في الآخرة:

إن من رزقه الله تأملا في حال هذه الدنيا، وما فيها من المنغصات والمكدرات، وأنها لا تصفو للمرء على حال، بل هي كما قيل: من سره زمن ساءته أزمان، ناهيك عن قصرها وأن العمر فيها كطرفة عين، وحقارتها عند الله جل وعلا، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم، في قوله: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء» (٩١).

من رزقه الله تأملا لهذه الدنيا، علم أنه دار لا تستحق أن تصرف فيها الأوقات ولا أن تعمل فيها العقول إلا فيما يرضي الله جل وعلا، وفيما يعمر فيه آخرته، فيتخذ هذه الدنيا مزرعة للآخرة. وفي الحديث الصحيح من رواية المستورد بن شداد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» (٩٢)

والآيات الواردة في القرآن العزيز بعيب الدنيا، والتزهيد فيها، وضرب الأمثال لها كثيرة كقوله تعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ) [آل عمران: ١٤ - ١٥]، وقوله: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران: ١٨٥]، وقوله: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ) الآية [يونس: ٢٤]، وقوله: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ) [الحديد: ٢٠]، وقوله: (وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) [الزخرف: ٣٥]، وقوله: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٢٩) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ) [النجم: ٢٩، ٣٠].

«فينبغي للعبد المؤمن بربه، إذا نظر إلى زهرة الدنيا، فدعته إلى نفسها برونقها البهيج، أن يقول لها بلسان الحال إليك عني يا سريعة الزوال، إنما تصلحين للتشويق إلى دار ليس لساكنها عنها انتقال، أنت خزف فان، وتلك جوهر باق، فلتفرق بين الدارين عقول

---

(٨٩) انظر تفسير الطبري (٢٤/ ٥٨٣)، تفسير البغوي (٨/ ٥١٩)، تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٢)، الكشاف (٤/ ٧٩٣)، فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٩٨)، تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤).

(٩٠) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٨).

(٩١) سنن الترمذي (٤/ ١٣٨)، وبنحوه ابن ماجه (١٣٧٦/٢)، وصححه الألباني.

(٩٢) أخرجه مسلم: باب فناء الدنيا (٢١٩٣/٤).

الرجال، خل عن منزل الزوال والفناء، ويمم نحو الجناب العالي منزل الكرامة والأنس والبر ونيل المنى، تلك والله دار قوم شروها بنفيس النفوس والأموال، حين زفت إليهم خطوبها ثم ساقوا لها المهور الغوالي...»[٩٣].

«ومن أعظم الأمور التي تزهد في الدنيا، وترغب في الآخرة: تذكر الموت يردع عن المعاصي، ويلين القلب القاسي، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب فيها. وكذلك مشاهدة المحتضرين، فإن في النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته، ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، ما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمنع الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد في الاجتهاد والتعب»[٩٤].

المبحث الثالث: في (كلا) ودلالاتها:

كرر الله سبحانه وتعالى في هذه السورة كلمة (كلا) ثلاث مرات، ولا شك أن هذا التكرار لم يأت عبثا أو زيادة، وإما جاء لغرض وحكمة، وكلمة (كلا) لها عدة دلالات، فهي يجاء بها للتنبيه، وهي كذلك تدل على الردع، والزجر، والإبطال لقول سبقها.

قال الراغب: «كلا: ردع وزجر وإبطال لقول القائل، وذلك نقيض «إي» في الإثبات. قال تعالى: (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا (٧٧) أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)) [مريم: ٧٧-٧٩]، وقال تعالى: (لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا) [المؤمنون: ١٠٠] إلى غير ذلك من الآيات، وقال: (كلا لما يقض ما أمره) [عبس: ٢٣]»[٩٥].

وقال القرطبي: «وله تعالى: (كلا لو تعلمون علم اليقين) أعاد كلا وهو زجر وتنبيه»[٩٦].

فائدة:

قال ابن عاشور: «عند تفسير قوله تعالى: (أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا (٧٨) كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا (٧٩)) [مريم: ٧٨-٧٩].

ولكونها-أي: كلا- حرف ردع أفادت معنى تاما يحسن السكوت عليه. فلذلك جاز الوقف عليها عند الجمهور، ومنع المبرد الوقف عليها بناء على أنها لا بد أن تتبع بكلام. وقال الفراء: مواقعها أربعة:

- موقع يحسن الوقف عليها والابتداء بها كما في هذه الآية.

---

(٩٣) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (٢٤/١).

(٩٤) التذكرة للقرطبي (١٣٣/١).

(٩٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٧٢٥).

(٩٦) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٣)، وانظر التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢١).

- وموقع يحسن الوقف عليها ولا يحسن الابتداء بها كقوله: (فأخاف أن يقتلون قال كلا فاذهبا) [الشعراء: ١٤، ١٥].
- وموقع يحسن فيه الابتداء بها ولا يحسن الوقف عليها كقوله تعالى: (كلا إنها تذكرة) [عبس: ١١].
- وموقع لا يحسن فيه شيء من الأمرين كقوله تعالى: (ثم كلا سوف تعلمون) [التكاثر: ٤][٩٧].

المبحث الرابع: القسم في (لترون) ودلالته:

بعد ما توعد الله سبحانه وتعالى من ألهاهم التكاثر بالدنيا عن الاشتغال بالآخرة، قال تعالى بعد ذلك (لترون الجحيم)، فهل هو قسم من سبحانه على ما سبق ذكره، أم هو جواب ل (لو)؟

سبق لنا أن جواب (لو) محذوف وهو مقدر، ولذا ذكر بعضا المفسرين أن هذا قسم منه سبحانه على ما سبق ذكره، وأنه إنما جيء بهذا القسم لفائدة:

قال الزمخشري: «ثم قال (لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به... وهو جواب قسم محذوف، والقسم لتوكيد الوعيد، وأن ما أوعدوا به مالا مدخل فيه للريب»[٩٨].

وقال القرطبي: «قوله تعالى: (لترون الجحيم) هذا وعيد آخر. وهو على إضمار القسم، أي لترون الجحيم في الآخرة»[٩٩].

وقال ابن عاشور: «وليس قوله: لترون الجحيم جواب (لو) على معنى: لو تعلمون علم اليقين لكنتم كمن ترون الجحيم، أي لترونها بقلوبكم، لأن نظم الكلام صيغة قسم بدليل قرنه بنون التوكيد، فليست هذه اللام لام جواب (لو) لأن جواب (لو) ممتنع الوقوع فلا تقترن به نون التوكيد»[١٠٠].

الخاتمـــة :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: فقد تبين لي من خلال هذا البحث المختصر في تفسير سورة التكاثر ما يلي:

١ - أن سورة التكاثر لها عدة أسماء.

٢ – أن سورة التكاثر سورة مكية في أصح قولي أهل العلم، بل حكي إجماعا.

٣- لا خلاف بين أهل العلم في أن عدد آياتها ثمان آيات.

٤ – ورد في فضل قراءتها عدة أحاديث.

---

(٩٧) التحرير والتنوير (١٦/ ١٦٢).

(٩٨) الكشاف (٤/ ٧٩٢).

(٩٩) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٧٤).

(١٠٠) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٢٢).

٥ – لا تعارض بين الأقوال التي جاءت في سبب نزول السورة.
٦ – في إبهام ما نهي عنه من المتكاثر به تنبيه للعبد أن يحذر الغرور في الدنيا أيا كان سببه.
٧ – التعبير عن الموت بالزيارة فيه بلاغة وتأكيد أن بعد الموت بعثا، ثم جزاءً.
٨ – في السورة كلمة واحدة فقط فيها أكثر من قراءة متواترة.
٩ – الراجح أن النعيم الذي يسأل عنه الإنسان هو كل نعيم حصل له في الدنيا.
١٠- أن كل عبد سيرى النار عيانا حتى ولو لم يكن من أهلها.

قائمة المصـــادر :

١ - إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء، المحقق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٧هـ.

٢ - الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

٣ - أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، تحقيق: ماهر الفحل.

٤ - الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري المعروف بابن البَاذِش، دار الصحابة للتراث.

٥ - البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، الطبعة١٤٢٠ هـ.

٦ - البرهان فى تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ١٤١٠ هـ.

٧ - البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ، دار إحياء الكتب العربية.

٨ - البيان في عد آي القرآن، أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، مركز المخطوطات والتراث - الكويت - ١٤١٤ هـ، الطبعة: الأولى، تحقيق: غانم قدوري الحمد.

٩ - تحبير التيسير في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف، تحقيق: د.أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان – الأردن-عمان ١٤٢١ هـ.

١٠ - التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

١١ - التحفة الوفية بمعاني حروف العربية، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السفاقسي (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).

١٢ - تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، المحقق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.

١٣ - التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، تحقيق ودراسة: الدكتور: الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ.
١٤ - التذكرة في الوعظ، عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح.
١٥ - التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
١٦ - تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٧ - تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ.
١٨ - تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ.
١٩ - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
٢٠ - جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.
٢١ - الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الشعب – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧.
٢٢ - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ.
٢٣ - جمال القراء وكمال الإقراء، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي، تحقيق: د. مروان العطيَّة - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق – بيروت الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ.
٢٤ - الجنى الداني في حروف المعاني، ابن أُمّ قَاسِم المرادي (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).
٢٥ - الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر – بيروت.
٢٦ - ديوان جرير (أفدته من الشاملة لم أجد له معلومات أخرى).

٢٧ - زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٢٧ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، دار الفكر – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٢٨ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢٩ - سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت.
٣٠ - سنن النسائي (المجتبى من السنن)، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦ تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة.
٣١ - شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول.
٣٢ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.
٣٣ - صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني.
٣٤ - العقيدة الطحاوية، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة المعروف بالطحاوي، شرح وتعليق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ.
٣٥ - العنوان في القراءات السبع، أبو طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ الأنصاري السرقسطي، المحقق: الدكتور زهير زاهد - الدكتور خليل العطية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٦ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
٣٧ - القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤هـ.
٣٨ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.
٣٩ - لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، ضبطه وصححه: الأستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

٤٠ - اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
٤١ - لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٤٢ - لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، الطبعة: الثانية - ١٤٠٢ هـ.
٤٣ - متن الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، المحقق: محمد تميم الزعبي، مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة ١٤٢٦ هـ.
٤٤ - مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.
٤٥ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٤٦ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
٤٧ - مستدرك الحاكم، (المستدرك على الصحيحين)، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
٤٨ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ.
٤٩ - معاني القراءات للأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
٥٠ - معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٨.
٥١ - معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

٥٢ ـ المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.
٥٣ ـ مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرماني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٥٤ ـ مفاتيح الغيب، الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٤٢١هـ ـ الطبعة: الأولى.
٥٥ ـ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ـ دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ـ ١٤١٢ هـ.
٥٦ ـ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ.
٥٧ ـ النشر في القراءات العشر، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، المحقق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.
٥٨ ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
٥٩ ـ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، المحقق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل – بيروت.